المصـــــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 20-10-2006
الصفحـات : 10
العـــدد : 4757
المسلسل : 62

أسهم «إعمار» و«مصرف الفقراء» .. مجرد مقارنة

د. محمد آل عباس
maalabbas@kku.edu.sa

بعد هذا أقارن فقط بين ما تفعله البنوك بالمواطن بدءا من استغلال احتياجه، إلى إقناعه بالمشاركة في سوق الأسهم، من خلال الاقتراض، ثم الهروب من السوق وتركه وحيدا يصارع البقاء، إلى سرقته وإجباره على البيع بأسعار يفرضونها عليه فرضا.

أستاذ المراجعة المساعد - جامعة الملك خالد - أبها

انتظر العديد من الناس إدراج سهم إعمار للتداول بلهفة كبيرة، ولهذا ما يبرره. وكان يوم الإدراج يوما مشهودا وسيكتبه تاريخ السوق السعودية، اندفع مئات الآلاف من الناس في جميع مناطق المملكة لبيع ما اكتتبوا فيه من أسهم، فهذا رمضان وهذه إجازة عيد الفطر، لكن الآمال تحطمت مع أول نصف ساعة من التداول لأن السعر- من وجهة نظرهم - كان أقل من المتوقع. لقد ارتفع سهم إعمار في أول أيام التداول إلى ما يزيد على 250 في المائة مقارنة بسعر الاكتتاب، وهذا ارتفاع مقنع جدا، بل ضخم من وجهة النظر الاقتصادية، فلماذا كان هذا الشعور الذي ملأ الشارع الاقتصادي السعودي؟

القضية بدأت عندما بُثت إشاعات من مصادر غريبة أن السعر سيتجاوز 100 ريال سعودي، بل هناك من ادعى وأقسم أن الدولة ستتدخل لرفع سعر سهم إعمار كهدية عيد. المشكلة أنه كلما حاولت تفنيد مثل هذا المزاعم، اعتبرك الناس ضد السوق وانتعاشها ولو بالأمل. المشكلة ليست في إشاعة أو خبر. بل في دفع الناس و توجيههم نحو قرار ليس في صالح الاقتصاد الوطني - نظريا على الأقل.

إن أهمية الاكتتابات الضخمة في السوق والاقتصاد تكمن في توجيه الناس نحو الاستثمار أكثر من الاستهلاك، فتحفيز الناس على البيع بهذه الطريقة يجعل توجه الدولة نحو دعم الاكتتابات بلا معنى تماما، ونصبح كمن يصب الزيت على النار. وقد نقبل أن يقود مثل هذا التوجه كبار المضاربين الذين يسعون إلى زيادة أرباحهم وتعظيم ثرواتهم وأصولهم، لكن أن يصدر من مؤسسات كبيرة محسوبة على الاقتصاد مثل البنوك، فتلك هي الكارثة.

تعتبر البنوك المشتري الاستراتيجي في السوق السعودية؛ لذلك يهمها دوما أن تشتري بالسعر الذي تحدده لا الذي يفرض عليها. وهكذا ليست البنوك قبعة الرأسمالي الجشع وهي تحفز الناس على بيع سهم إعمار بأمر السوق، بينما هي تقوم بالشراء من الجهة الأخرى. لقد امتلأت الصحف بإعلانات البنوك لتحفيز الناس على البيع ومن خلال استخدام بطاقات الصرف الآلي وهي بالطبع لا تقبل إلا أوامر سوق. عندما يقوم البائع بعرض الأسهم بهذه الطريقة فهو لا يعرف السعر الذي ستتم به الصفقة ولا يهمه ذلك، بل المهم سرعة التخلص مما في حوزته من أسهم وهو التكتيك الذي يهوي بالأسواق المالية إذا تم استخدامه بشكل واسع جدا.

من جهة أخرى أجبرت البنوك، معنويا، الذين قاموا بالبيع من داخل صالة البنك على استخدام أمر السوق وذلك بإنذارهم أن الموظف سيتجاهل الأوامر التي تحدد سعرا معينا.

وهكذا فقدت البنوك استقلالها كوسيط بين المشتري والبائع وعادت لتمارس جميع الأدوار يحدوها في هذا تضخيم أرباحها على حساب المواطن البسيط. فهي، كوسيط، تحق لها العمولة، وكمشتر تفرض أسعارا حسب مصالحها لأن الجميع، ويا جبار منها، يبيع بأمر سوق، أي حسب السعر الذي يحدده المشتري وهو البنك في غالب الحال. وبذلك لعبت ضمنيا دور، البائع، بما أوحته للناس من خلال الإعلانات بالبيع وبما فرضته من أسلوب وسعر. كان

المصـــــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 20-10-2006 العـــدد : 4757
الصفحـات : 10 المسلسل : 62

الأجدر بالبنوك أن توجه الناس إلى أهمية الاستثمار والمحافظة على الأسهم أو على الأقل أن تقف موقفا محايدا، لا هي شجعت على البيع ولا على الاستثمار. نعم تعتبر البنوك المشتري الاستراتيجي، ولو لم تقم بالتنافس على الشراء، لهوى السعر إلى مستويات الاكتتاب إن لم يكن أدنى منها، لكن اندفاع الناس نحو البيع تم بإيحاء ولو جزئيا من البنوك، و إجبارهم على استخدام نظام أمر السوق كان يدافع من مصالحها الأساسية ولو أن تداول "إمعار" تم كأي تداول عادي من خلال أمر سحري محدد لما كان في مقدور البنوك أن تحصل على السهم بهذه الأسعار.

كل هذا يحدث لأن البنوك تمارس أدوارا متعددة وأرجو أن يكون أصحاب القرار في مؤسسة النقد وهيئة السوق المالية قد اقتنعوا بأهمية فصل هذه الأدوار بعضها عن بعض. وحتى يتم لهم هذا بالكامل، أمل أن يتوموا بمراقبة صارمة لما تفعله البنوك بالضعفاء والذين أتلفت عليهم فرحة العيد بضياع فرصة "إمعار".

يذكرني هذا بالفرق بين البنوك السعودية و"مصرف الفقراء"، فقد فاز البنغالي محمد يونس والبنك الذي يرأسه "بنك غرامين" مناصفة بجائزة نوبل للسلام عام 2006. وهي بحق مفاجأة بكل المقاييس فما العلاقة بين السلام وإقراض الفقراء؟

بعد كل الأحداث التي مرت على العالم، ظهر بشكل جلي العلاقة بين الفقر والحرب والسلام، فكما أشار رئيس معهد نوبل للسلام أن أسباب اختيار الفائز هذا العام من بين 191 مرشحا يعود إلى أن تحقيق السلام لن يكون ممكنا دون تمكن مجموعات كبيرة من السكان من التخلص من الفقر.

بعد هذا أقارن فقط بين ما تفعله البنوك بالمواطن بدءا من استغلال احتياجه، إلى إقناعه بالمشاركة في سوق الأسهم، من خلال الاقتراض، ثم الهروب من السوق وتركه وحيدا يصارع البقاء، إلى سرقته وإجباره على البيع بأسعار يفرضونها عليه فرضا. أقول، وكما أشار معهد نوبل، إن جزءا من مكافحة التطرف يقع على البنوك ولا بد أن تقوم بهذا الدور ولو قسرا. شخصيا ليس لدي كبير أمل في البنوك العاملة حاليا، ولكني أنتظر في ذلك مصرف الإنماء - هدية خادم الحرمين الشريفين حفظه الله - لشعبه.

إضاءة "العيد .. في .. الرياض"

تبقى فرحة العيد مختلفة في مدينة الرياض. أمانة العاصمة تعرف ماذا تعني هذه الفرحة وهذا الاختلاف، وقد أعدت لزوارها ما يعكس ذلك. أعجبني كثيرا برنامج أمانة الرياض هذا العام، فهو حافل ومختلف فعلا، فالألعاب النارية ستضيء الليل من خلال ستة مواقع داخل المدينة. ومع الاحتفالات والمهرجانات والعروض المختلفة والمسرحيات، فإنه سيكون عيدا مميزا في الرياض.

للتواصل مع الكاتب أرسل رسالة قصيرة SMS إلى الرقم 80822 بعد كتابة الرمز 116 ثم الرسالة
80822